

قراءة في ديوان الشجرة الطيبة وديوان مصارع الكرام في واقعة الطف

1- قصيدة (أهل البيت «عليهم السلام»). كيف يبلغ لساني مدحَ أهلِ البيت (عليهم السلام)، وهم قممُ المجد ومناهلُ الفضائل؟! وما أنا إلا محبٌّ يقف حائرًا أمام عظمتهم، يدرك أن كلَّ كلمةٍ تقصر عن بيان مقامهم، وأن أسمى ما يرجوه هو أن يقتبس من نور أخلاقهم، ويهتدي بهديهم، ويسير على نهجهم؛ فتزكو نفسه ويسمو قلبه.

إن محبتي لهم ليست ادعاءً بالقدرة على الإحاطة بفضلهم أو الوفاء بحقهم، وإنما هي رجاءٌ صادقٌ أن أكون من المتمسكين بولائهم، العاملين بسيرتهم، والمتخلّقين بمكارم أخلاقهم، والراكبين سفينة نجاتهم التي جعلها الله سبيلًا للهداية والفلاح.

وقد رُوي عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في فضلهم: «.. إنما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، ومثّل باب حطة من دخله نجا ومن لم يدخله هلك».

فوق العلا قد علوتم سادة الحنفا

من ليس يعرفكم الله ما عرفا

فكل من قال شعراً مادحاً لكم

فلا يزيدكم مجداً ولا شرفا

وإنما رفعة يعطيه مدحكم

فيغتدي بكم بالحسن متصفا

هذي المقالة حق ليس ينكرها

إلا امرء عن هداكم صار منحرفا

2- قصيدة (أشرف النفوس). تربيةُ النفس على الفضائل، والسعيُ إلى ضبط بوصلة الحياة وفق القيم والمبادئ، من أهم ما يعين الإنسان على الاستقامة. ويتحقق ذلك بما يتلقاه من تربيةٍ صالحةٍ من الوالدين، وما يكتسبه من قيمٍ نبيلةٍ في المجتمع الذي يعيش فيه، فيحمد الله تعالى على هذه النعم.

ويقول الإمام علي (ع): «اجعل من نفسك على نفسك رقيباً، واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً». وهي دعوةٌ إلى محاسبة النفس، ومراقبة السلوك، والعمل لما ينفع الإنسان في آخرته، مع حسن الانتفاع بنعم الدنيا فيما يرضي الله.

أكبرت نفساً بالمعالي مترعه

لجميع أوصاف الأكارم جامعة

فتألفت في الأفق حتى أصبحت

شمساً بأ نوار الفضائل ساطعة

فأضاءت الكون الكبير بنورها

بجميع أنحاء الوجود الشاسعة

3- قصيدة (حروفي). إنَّ مشاعر الحب والجمال، والقدرة على صياغتها بكلماتٍ صادقةٍ نابغةٍ من قلبٍ مفعمٍ بالمحبة والجمال، تزداد إشراقًا عندما تقترن بالتعلُّق بآل محمد (عليهم السلام). فمنذ أن اتخذتهم كهفًا روحياً وملاذًا آمناً، استمددت من فيوضاتهم رحمة الله وبركاته، واستلهمت من كلماتهم وسيرتهم وتاريخهم المشرق ما يُنير الحياة ويهدي القلوب.

وقد رُوِيَ عن أبي الصلت الهروي أنه قال: سمعتُ أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا». فقلتُ له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: «كيف يحيى امركم، قال يتعلم علومنا ويعلمها الناس فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا».

طربت على اللحن الجميل حروفي

فتراقمت بدلالها الموصوف

فَمِنْ التَّأَثُّرِ بِالْجَمَالِ بِدَالِهَا

أَلْقَ لِنُورِ طَاهِرٍ مَكْشُوفٍ

تلك المعاني المشرقاتُ تُبين عن

مكنون قلب بالجمال شغوف

في سادة هم للخلائق ملجأً

هم في النوازل للورى ككهوف

منهم لكل خلائق قد أذهلت

عظم العطايا من سخاء كفوف

بمكارم غمروا الوجود جميعه

فيهم يُّغاث لقاصد ملهوف

فهم الوسائط للفيوضات التي

هي فضل رب بالعباد رؤوف

4- قصيدة (السمو يتجسد). إنَّ التعلُّقُ بمكارم الأخلاق هو التمسُّكُ بالنهج الذي رسمه لنا النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والذي مدحه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِذْ نَزَّلْنَا لَعَلًا فِى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وعلينا أن نتعلَّم من سيرته العطرة، وأن نسير على هديه، امتثالاً لأمر الله تعالى، كما قال مخاطباً نبيَّه الكريم: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112]. وبالاستقامة على هذا النهج نَحَقُّ حقَّ العدل، وننصر الحق، ونعمل بما أمر الله تعالى به من أداء الحقوق، والقيام بالواجبات، وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى. كما ينبغي أن نكون سفراء للإسلام بأخلاقنا وأفعالنا، أينما كنا، ليكون سلوكنا شاهداً على عظمة هذا الدين وقيمته السامية.

أي شخص قد سمى أخلاقه

فيها أكرمته خلاقه

ذروة العلياء قد جاوزها

في سمو والعلا عملاقه

إن يُعدّ المجد في أبعاده

تتعدى كلها آفاقه

أو يُعدّ الجود في كل الورى

يتعدى جمعهم إنفاقه

+++++

قراءة في ديوان مصارع الكرام في واقعة الطف، للمؤلف/ محمد موسى حسن المسلم، الطبعة الأولى: 1435هـ—
2014/ م.

1- قصيدة (ثار □). تُعدّ واقعة الطف من أبرز الأحداث في التاريخ الإسلامي، وقد صوّرها الشعراء في قصائدهم بما تضمّنته من أحداث القتال، واستشهاد الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه، وما جرى من سبي النساء. وتُستذكر هذه الواقعة في بداية شهر محرّم من كل عام، حيث تُتلى أحداثها ويستعيد محبّو أهل البيت (ع) ذكراها.

إن هذه الأحداث تعنصر القلب ألمًا، وتُدمع العين حزنًا، وفي الوقت نفسه يستمدّ منها المؤمنون القوة والحكمة، ويتعلّمون كيف مرّت الأمة الإسلامية بمنعطفٍ خطير باستشهاد سيد شباب أهل الجنة، وسبط النبي (ص)، وريحانته. وقد رُوِيَ عن النبي الأعظم (ص) قوله: «حسين مني وأنا من حسين».

الدهر من بعد الحسين مآثم

فلقد جرت في كربلاء جرائم

سالت بها أركى الدماء على الثرى

صبت على آل الرسول مظالم

فبكربلا حزت رؤوس قدست

وتهشمت للأكرمين جماجم

وعلى رمال للطفوف تدرجت

سقطت على تلك الرمال عمائم

كانت من التيجان أكثر عزة

منحت لها ذاك السمو أكارم

وكفى سمواً بالحسين وصحبه

فهم خيار في الأنام أعظم

فهم مثال للفداء وللوفاء

منهم تبدت في الطفوف عزائم

وبنات أحمد روعت في كربلا

هتكت بها لذوي النبي محارم

فلقد سبين بكربلاء وإنهن

من نسل فاطم كُـلُّهُنَّ - فواطم

طول المدى هيهات يُنسى يومهم

ولسوف يبقى في الضمائر قائم

هيهات أن يُنسى الحسين وصحه

ما دام يوجد في الوجود عوالم

هيهات أن ينسى وأصحاب له

ما دام للحق المضيء معالم

قد أُسست بدم الحسين وصحه

ولسوف يبقى وهجا المتعاطم

2- قصيدة (اليوم المتجدد). «وذاك أعطيك المحبة صادقاً وبها أقدم موثقاً وعهداً».

يقدرّم الشاعر المحبة الصادقة عربونَ وفاءٍ وعهداً، مؤكداً أنه لن ينسى النهج الذي رسمته نهضة الإمام الحسين (ع)، بل يجدّد هذا العهد في كل عام ليستلهم منها معاني الكرامة والعزة. وقد افتدى الإمام الحسين (ع) الدين بدمه الزكي، وتلقّى جسده الشريف السيوف والرماح والسهام وسائر آلات القتل، وهو صابرٌ محتسب، راضٍ بقضاء الله تعالى.

وكان (عليه السلام) يردّد الدعاء الوارد في ذلك الموقف:

«اللهم!.. أنت ثقتني في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقةٌ وعدة. كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبةً مني إليك عن سواك، ففرّجته عني وكشفته، فأنت وليٌّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى

كل رغبة».

وتختصر الأبيات الآتية ما جسّدته واقعة كربلاء من قوة الإيمان، والصبر، والتضحية، والثبات:

فإن نهزم فهزّامون قدمًا ... وإن نُغلب فغيرُ مغلّابينا

وما إن طبعُنا جبنٌ ولكنّ ... منا يانا ودولةُ آخرينا

وتجسد هذه الأبيات معاني الثبات والعزة، وتؤكد أن أصحاب الحق لا تهزمهم الشدائد، وأن الشجاعة والإيمان الراسخ يبقيان مصدر قوتهم مهما عظمت التضحيات.

قصيدة (اليوم المتجدد).

ما زال يومك يا حسين جديدا

منه المعالي تستمد وجودا

في كل عصر يستجد على الدنا

هو لم يزل بالمكرمات ولودا

ما أن ينادي يا حسين ومأمنا

للخائفين ترى العوالم عيدا

إن العوالم بالحسين نجاتها

لم تنسه في كربلاء شهيدا

من أجل دينٍ وهو حياتها

فالدين يسمو بالحياة بعيدا

فالخير كان مجسداً في ابن الهدى

والشر كان مجداً بيزيدها

فحسين كان بكرلاء مناصلاً

بطلاً يمارع للطعنة جنودا

فالموت فيه السعد ما دام الهدى

يبقى مشعاً في الزمان مديدا

ففدى بمهجته رسالة جده

للروح قدم راضياً وسعيدا

احسين قد سطرت بيض صحائف

في موقف لك لا يزال فريدا

بدم زكـي قد كتبت حروفها

جاءت على هدف سما تأكيدا

قدم الإمام السبط وهو مقدس

لمشاغل الإيمان صار وقودا

وذاك أعطيك المحبة صادقا

وبها أقدم موثقا وعهدا